

والآن : لقد انكشف ميدان المعركة الخالدة ، المعركة بين خليقة الشر في إبليس ، وخليفة الله في الأرض . المعركة الخالدة في ضمير الإنسان ، المعركة التي ينتصر فيها الخير بمقدار ما يستعصم الإنسان بإرادته وعهده مع ربه ، وينتصر فيها الشر بمقدار ما يستسلم الإنسان لشهوته ، ويعد عن ربه : ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ ..

لقد أبيحت لهما كل ثمار الجنة .. إلا شجرة .. شجرة واحدة ، ربما كانت ترمز للمحظور الذي لا بد منه في حياة الأرض ، فبغير محظور لا تثبت الإرادة ، ولا يتميز الإنسان المرید من الحيوان المسوق ، ولا يمتحن صبر الإنسان على الوفاء بالعهد والتقيد بالشرط ، فالإرادة هي مفرق الطريق ، والذين يستمتعون بلا إرادة هم من عالم البهيمة ، ولو بدوا في شكل آدميين !

﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه﴾ ..

ويالتعبير المصور : «أزلهما» .. إنه لفظ يرسم صورة الحركة التي يعبر عنها ، وإنك لتكاد تلمح الشيطان وهو يزحزحهما عن الجنة ، ويدفع بأقدامهما فتزل وتهوى ! عندئذ تمت التجربة : نسي آدم عهده ، وضعف أمام الغواية ، وعندئذ حقت كلمة الله ، وصرح قضاؤه : ﴿وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ ...

وكان هذا إيذاناً بانطلاق المعركة في مجالها المقدر لها بين الشيطان والإنسان إلى آخر الزمان .

ونفض آدم من عثرته ، بما ركب في فطرته ، وأدركته رحمة ربه التي تدركه دائماً عندما يشوب إليها ، ويلوذ بها .

﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ ..

وتمت كلمة الله الأخيرة ، وعهده الدائم مع آدم وذريته ، عهد الاستخلاف في هذه الأرض ، وشرط الفلاح فيها أو البوار .